

خالد بن سليمان بن علي الربعي

مصدر هذه المادة:







بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

الحمد لله الغفور التواب، وعد المستغفرين بجزيـــل الثـــواب، وجعله أمانًا من العذاب، والصلاة والسلام على النبي المختار، أمـــر بالاستغفار، وبشر من لزمه بإزالة الأكدار، وصلى الله عليه وعلـــى أصحابه الأخيار، وآله الأبرار، وأزواجه الأطهار، ومـــن تـــبعهم بإحسان في هذه الدار، وسَلِّم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فقد مدح الله تعالى المستغفرين - خاصة في السحر – وجعـــل لهم حميدَ الأَثَر، وحسبك بفعل سيد البشر؛ فقد كان يســـتغفر في اليوم مائة مرة، فلله ما أبره، اقتدى به من بعده الصالحون، وســـار على نهجه المتبعون، فلزموا الاستغفار، وغيره من الأذكار، في العشي والإبكار؛ زيادةً في الإيمان، وطمعًا في الأمان، فزالت كـــثير مـــن همومهم، وكشفت غالب غمومهم، وما كانوا في ضيق إلا يسر الله تعالى لهم فرجًا، ولا في كرب إلا جعل لهم منه مخرجًا.

وفي المداومة على ذلك تأثير عجيب – بإذن الله تعـــالى – في دفع الكروب، ومحو الذنوب، ونيل المطلوب، وإخراج الغـــل مـــن القلوب، وتفريج الهموم، وإزالة الغموم، وشفاء الأسقام، وذهـــاب الآلام، وحلول البركة، والقناعة بالرزق، والعاقبة الحميدة، وصلاح النفس، والأهل، والذرية، وإنزال الغيث، وكثرة المـــال، والولـــد، وكسب الحسنات، وغير ذلك من الفوائد.

وبين يديك عدد من الآيات والأحاديث والآثار التي تبين فضل الاستغفار، وفوائده، وحاجة المسلم له، وتقرأ في آخـــر الكتـــاب

قصصًا لمن داوم على الاستغفار فأعقبه ذلك خيرًا؛ لتكون حافزًا للمداومة عليه، وفي الآيات والأحاديث كفاية.

ولتعلم أن قلة القصص في هذا الكتاب – بالنسبة للكتب السابقة في هذا المجال ككتاب «**من عجائب الدعاء**» في جزئيه، و«**من عجائب الصدقة**» ناتج عن ارتباط هذه الأمور ببعض؛ فقد يتصدق المرء ويدعو ويستغفر ثم يأتيه الفرج؛ فتم ذكر القصص هناك لسبق التأليف.

ومن ناحية أخرى فقد تتكرر نفس المواقف لعدد من الأشخاص ويكون نتاجها واحد؛ فكان من الأنسب الاكتفاء بالبعض عن الكل، وإن اختلفت بعض فصول القصة.

أسأل الله تعالى حسن العمل، والنية الصادقة، والعفو والعافية، والإخلاص في القول والعمل، اللهم أعذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأدم على بلادنا الأمن والاستقرار وسائر بلاد المسلمين، ووفق ولاة أمورنا لما تحب وترضى يا كريم.

وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خالد بن سليمان بن علي الربعي

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالشقة

بريدة ص ب (٢٥٠٧٦) الرمز البريدي (٥١٣٢١)

هاتف ٠٦٣٨٧٠٠٠٦ فاكس تحويله ١٤

E-mail: eg.khalidsr@yahoo.com

أولاً: الآيـــات

١- قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥].

٢- وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

٣- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥-١٧].

٤- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٥- وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

٦- وقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ١-٣].

٧- وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٠-٥٢].

٨- وقال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

٩- وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥، ١٠٦].

١٠- وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

١١- وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٢، ٣٣].

١٢- وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر].

ثانيًا: التفسير

* عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ **[آل عمران: ١٣٥]**، قال: لم يواقعوا. وقال آخرون: «معنى «الإصرار» السكوت على الذنب وترك الاستغفار[١].

* وعن أبي موسى ﷺ قال: إنه كان قبل أمانان، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ **[الأنفال: ٣٣]** قال: أما النبي ﷺ فقد مضى، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة [٢].

* عن قتادة: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، قال: إن القوم لم يكونوا يستغفرون، ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا، وكان بعض أهل العلم يقول: هما أمانان أنزلهما الله؛ فأما أحدهما فمضى؛ نبي الله، وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم؛ الاستغفار والتوبة[٣].

* وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: قال ابن عباس: كان فيهم أمانان: النبي ﷺ، والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار[٤].

---

(١) تفسير الطبري: (٧/٢٢٤).
(٢) تفسير الطبري: (١٣/٥١٣).
(٣) تفسير الطبري: (١٣/٥١٤).
(٤) تفسير ابن كثير: (٤/٤٨).

* وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]: قال: قيام الليل.

* وعنه قال: مدُّوا في الصلاة ونشطوا، حتى كان الاستغفار بسحر [١].

* قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، قال ابن كثير: دَلَّ على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار [٢].

* وفي قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] تهييج للأمة على الاستغفار، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ﴾ [غافر: ٥٥]؛ أي: في أواخر النهار وأوائل الليل، ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾، وهي أوائل النهار وأواخر الليل [٣].

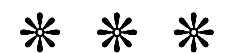
* قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]؛ قال أبو روق: أي كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار [٤].

* قال السعدي في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [هود: ٣] عن ما صدر منكم من الذنوب، ﴿تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ فيما تستقبلون من أعماركم بالرجوع إليه بالإنابة والرجوع عما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه، ثم ذكر ما يترتب على الاستغفار والتوبة فقال:

---

(١) تفسير الطبري: (٤٠٩/٢٢).
(٢) تفسير ابن كثير: (٢٣/٢).
(٣) تفسير ابن كثير: (١٥١/٧).
(٤) تفسير القرطبي: (٢٥١/١٨).

﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾؛ أي: يعطيكم من رزقه ما تتمتعون به وتنتفعون، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي: إلى وقتِ وَفَاتِكم، ﴿وَيُؤْتِ﴾ منكم ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾: أي: يعطي أهل الإحسان والبرِّ مِنْ فَضْله وبرِّه ما هو جزاء لإحسانهم؛ من حصول ما يحبون، ودفع ما يكرهون، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ما دعوتكم إليه، بل أعرضتم عنه، وربما كذبتم به ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: وهو يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأَوَّلين والآخرين، فيجازيهم الله بأعمالهم؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر [1].



(١) تفسير السعدي: (١/٦٧٣).

ثالثًا: الأحاديث

* عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(١).

* وعن حذيفة ﷺ قال: يا رسول الله، إني ذَرِبُ اللسان، وإنَّ عامَّةَ ذلك على أهلي. فقال: «**أين أنت من الاستغفار؟**» فقال: «**إني لأستغفر في اليوم والليلة** - أو في اليوم - **مائة مرة**»(٢).

* وعن حذيفة ﷺ قال: كنت رجلاً ذَرِبَ اللسان على أهلي فقلتُ: يا رسول الله قد خشيت أن يدخلني لساني النار. قال: «**فأين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر الله في اليوم مائةً**»(٣).

* وعن عبد الله بن بسر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**»(٤).

* وعن أبي بردة عن الأَغَرِّ المزنيِّ ﷺ وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه لَيُغَانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»(٥).

---

(١) صحيح البخاري: (١٩/٣٦٥).
(٢) مسند أحمد: (٤٧/٣٤٢).
(٣) مسند أحمد: (٤٧/٣٥١).
(٤) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٢/١٢٥).
(٥) صحيح مسلم: (١٣/٢١٦).

* وعن ابن أبي موسى عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «**رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير**»(١).

* وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هَزْلي وجِدِّي وخطاياي وعمدي وكل ذلك عندي**»(٢).

* وعن ثوبان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**». قال الوليد: فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: «أستغفر الله أستغفر الله»(٣).

* وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن(٤).

---

(١) صحيح البخاري: (٨/٢٠).
(٢) صحيح البخاري: (٩/٢٠).
(٣) صحيح مسلم: (٢٥٤/٣).
(٤) صحيح البخاري: (٣٠٨/٣).

* وعن شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عَلَيَّ وأبوء لَكَ بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**. قال: **ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**»(١).

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب**»(٢).

* وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما إن كنا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور**» مائة مرة(٣).

* عن علي بن ربيعة قال: شهدت عليًا ﷺ وأتي بدابَّةٍ ليركبها؛ فلما وضع رجلَه في الرِّكاب قال: بسم الله. فلمَّا اسْتَوَى على ظهرها قال: الحمد لله. ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. ثم قال: الحمد لله. ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر. ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي

(١) صحيح البخاري: (١٩/٣٦٣).
(٢) سنن أبي داود: (٤/٣١٤).
(٣) مسند أحمد: (١٠/٣٢).

فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين، من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك. فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال: «**إن ربك يعجب من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري**»(١).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله – تبارك وتعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبُك عنانَ السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتُك بقرابها مغفرة**». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٢).

* وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلسًا يقول بآخره إذا أراد أن يقوم من المجلس: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**». فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى. فقال: «**كفارة لما يكون في المجلس**»(٣).

---

(١) سنن أبي داود: (١٧٤/٧).
(٢) صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي: (٤٠/٨).
(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١٠١/٢).

* وعن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال لرسول الله ﷺ: عَلِّمْني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»(١).

* وعن بلال بن يسار بن زيد مولى النبي ﷺ قال: سمعت أبي يحدثنيه عن جدي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فَرَّ من الزحف**»(٢).

* وعن علي ﷺ أنه قال في الاستسقاء: «إذا خرجتم فاحمدوا الله، وأثنوا عليه بما هو أهله، وصلوا على النبي ﷺ واستغفروا؛ فإن الاستسقاء الاستغفار». قال: وقال علي ﷺ: «إن النبي ﷺ حول رداءه وهو قائم حين أراد أن يدعو»(٣).

* وعن أبي بكر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله قد وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار، من استغفر الله بنية صادقة، ومن قال: لا إله إلا الله. رَجَحَ ميزانُه**»(٤).

* وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن إبليس قال لربه عز وجل: وعزتك وجلالك لا أبرح**

(١) صحيح البخاري: (٣/٣٣٣).
(٢) صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود: (٤/١٧).
(٣) مصنف عبد الرزاق: (٣/٨٨).
(٤) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين: (١/٢٠١).

أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم فقال له ربه عز وجل: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني»[١].

* وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل يعطى هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له. حتى ينفجر الصبح»**[٢].

* وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«القنطار اثنا عشر ألف أوقية كل أوقية خير مما بين السماء والأرض»**. وقال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا فيقال باستغفار ولدك لك»**[٣].

* وعن الشعبي قال: خرج عمر بن الخطاب ﷺ يستسقي بالناس، فما زاد على الاستغفار حتى رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما رأيناك استسقيت. قال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي تستنزل بها المطر: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]. ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ **[هود: ٥٢]**[٤].

---

(١) مسند أحمد: (٢٢/٤٨٥).

(٢) صحيح مسلم: (٤/١٤٠).

(٣) سنن ابن ماجه: (١١/٥١).

(٤) مصنف عبد الرزاق: (٣/٨٧).

* وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تُذْنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»[1].

* وعن علي ﷺ قال: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله به بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف لي صدقته، وقال: وحدثني أبو بكر ﷺ وصدق أبو بكر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له**». ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ **[آل عمران: ١٣٥]**»[2] إلى آخر الآية.

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب صقل منها، فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه؛ فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ **[المطففين: ١٤]**».

[هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وقد احتج مسلم بأحاديث القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح][3].

* وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من حافظتين يرفعان إلى الله في يوم فيرى تبارك وتعالى في أول الصحيفة وفي**

---

(١) صحيح مسلم: (١٣/٣٠١).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب: (٢/١٢٥).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم: (١/٩).

آخرها استغفارًا إلا قال – تبارك وتعالى: قد غفرت لعبدي ما بين طَرَفَيِ الصحيفة». [رواه البزار، وفيه تمام بن نجيح وثقه وغيره وضعفه البخاري وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح][١].

* عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ قال: «**إن عبدا أصاب ذنبا – وربما قال: أذنب ذنبا – فقال: رب أذنبت – وربما قال: أصبت – فاغفر لي. فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا – أو أذنب ذنبًا – فقال: رب أذنبت – أو أصبت آخر – فاغفره، فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا – وربما قال: أصاب ذنبًا – قال: قال: رب أصبت – أو قال: أذنبت آخر – فاغفره لي. فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثًا فليعمل ما شاء**»[٢].

* وعن الزبير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار**»[٣]. رواه البيهقي بإسناد لا بأس به.

* عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلكم على دائكم ودوائكم، ألا إن داءكم الذنوب، ودواءكم الاستغفار**»[٤].

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (٤/٤٤٧).
(٢) صحيح البخاري: (٢٣/٢٦).
(٣) حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٢/١٢٥)، وصححه في السلسلة الصحيحة: (٥/٣٧٧).
(٤) شعب الإيمان للبيهقي: (١٥/١٨٠).

* عن عبادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقــول: «**مــن استغفر للمؤمنين وللمؤمنات كتب الله له بكل مــؤمن ومؤمنــة حسنة**»(١).

* عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «**العبد آمن من عذاب الله، عز وجل، ما استغفر الله، عز وجل**»(٢).

* عن عبد الله بن فروخ أنه سمع عائشة - رضي الله عنــها - تقول: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله خلق كل إنسان من بــني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرًا عن طريق الناس أو شــوكة أو عظمًا عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عــدد تلك الستين والثلاثمائة السلامي فإنه يمسي يومئذ وقــد زحــزح نفسه عن النار**»(٣).



---

(١) رواه الطبراني: (٦/٣٢٣).
(٢) أخرجه أحمد: (٦/٢٠) (٢٤٤٥٣).
(٣) رواه مسلم: (ص٨٣٧)، رقم (٢٣٣٠).

متفرقات في الاستغفار

* عن بكر بن عبد الله المزني يقول: «لقيت أخًا لي من إخواني الضعفاء فقلت: يا أخي أوصني. فقال: ما أدري ما أقول؛ غير أنه ينبغي لهذا العبد أن لا يفتر عن الحمد والاستغفار وابن آدم بين نعمة وذنب ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر ولا الذنب إلا بالتوبة والاستغفار. قال: فأوسعني علمًا ما شئت»(١).

* عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: «رأيت أبي في النوم بعد موته كأنه في حديقة فرفع إلي تفاحات فأولتهن بالولد فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل قال: الاستغفار يا بني»(٢).

* وعن مخلد قال: جاء رجل إلى أبان بن أبي عياش فقال: إن فلانًا يقع فيك قال: أقرئه السلام وأعلمه أنه قد هيجني على الاستغفار (٣).

* حدثنا الوليد بن مسلم، قال: سألت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن قول الله: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ **[آل عمران: ١٧]** فقال: حدثني سليمان بن موسى، حدثني نافع أن ابن عمر كان يحيى الليل صلاة فيقول: يا نافع: أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة فإذا قلت: نعم، قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح (٤).

---

(١) الشكر: (١/٥١).
(٢) المنامات: (١/٢٩).
(٣) الصمت: (١/٢٦٨).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم: (١٢/١٠٤).

* عن نافع قال: «كان ابن عمر يكثر الصلاة من الليل وكنت أقوم على الباب فأفهم عامة قراءته فربما ناداني: يا نافع هل كان السحر بعد؟ فإن قلت: نعم. نزع عن القراءة فأخذ في الاستغفار»[١]. إسناده حسن.

* قال سفيان: دخلت على جعفر بن محمد، فقال: «إذا كثرت همومك فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، وإذا تداركت عليك النعم فأكثر حمدًا لله»[٢].

* عن الربيع بن خثيم، أنه قال لأصحابه: ما الداء؟ وما الدواء؟ وما الشفاء؟ قال: «الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود»[٣].

* حدثنا مالك بن مغول قال: سمعت أبا يحيى يقول: شكوت إلى مجاهد الذنوب قال: «أين أنت من الممحاة؟ يعني من الاستغفار»[٤].

* عن جعفر بن برقان، قال: قلت لرجل من أهل البصرة: كيف لا يشتهي أحدنا أنه لا يزال متبركًا إلى ربه يستغفر من ذنب، ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود، قال: قد ذكر للحسن، فقال: «ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه فلا تملوا من الاستغفار»[٥].

(١) التهجد وقيام الليل: (١/٣٥٧).
(٢) الترغيب في فضاءل الأعمال وثواب ذلك لابن هشام: (١/٣٨١).
(٣) الزهد لأحمد بن حنبل: (٥/٧٠).
(٤) الزهد لأحمد بن حنبل: (٥/٣٣٠).
(٥) التوبة: (١/٢٥٢).

* عن الحسن يقول: «أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، أينما كنتم؛ فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة»[١].

* عن يونس بن عبيد، قال: سمعت بكر بن عبد الله المزني، يقول: «إنكم تكثرون من الذنوب، فاستكثروا من الاستغفار؛ فإن العبد إذا وجد يوم القيامة بين كل سطرين من كتابه استغفارًا سره مكان ذلك»[٢].

* روى إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال: سمعت رجلاً في السحر في ناحية المسجد يقول: يا رب، أمرتني فأطعتك، وهذا سحر فاغفر لي. فنظرت فإذا هو ابن مسعود رضي الله عنه.

قلت - والكلام للقرطبي: فهذا كله يدل على أنه استغفار باللسان مع حضور القلب[٣].

* وروى مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت أكثر استغفارًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وقال مكحول: ما رأيت أكثر استغفارًا من أبي هريرة رضي الله عنه، وكان مكحول كثير الاستغفار.

قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان، لا التلفظ باللسان [٤].

(١) التوبة: (١/٢٧٣).
(٢) التوبة: (١/٣٠٦).
(٣) تفسير القرطبي: (٤/٤٠).
(٤) تفسير القرطبي: (٤/٢١٠).

* عن ابن المبارك عن الأوزاعي قال: قال إبليس لأوليائه: من أي شيء تأتون بني آدم؟ فقالوا: من كل شيء. قال: فهل تأتونهم من قبل الاستغفار؟ فقالوا: هيهات ذاك شيء قُرِنَ بالتوحيد. قال: لأُبُثَّنَّ فيهم شيئًا لا يستغفرون الله منه. قال: فبث فيهم الأهواء[(١)].

* قال الفضيل: «يقول العبد أستغفر الله، وتفسيرها أقلني»[(٢)].

* قال الألباني رحمه الله تعالى في الكلام على قول النبي ﷺ: «**لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون فيغفر لهم**»: وليس المقصود من الحديث وأمثاله الحضَّ على الإكثار من الذنوب والمعاصي ولا الإخبار فقط بأن الله غفور رحيم؛ وإنما الحض على الإكثار من الاستغفار ليغفر الله له ذنوبه؛ فهذا هو المقصود بالذات من هذه الأحاديث، وإن اختصر ذلك منه بعض الرواة[(٣)]. والله أعلم.

* قال صاحب عون المعبود شارحًا حديث النبي ﷺ: «**من لزم الاستغفار**»: أي: عند صدور معصية وظهور بلية، أو من داوم عليه فإنه في كل نفس يحتاج إليه، ولذا قال ﷺ: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**». **[رواه ابن ماجه بإسناد حسن صحيح]**.

«**من كل ضيق**»: أي: شدة ومحنة.

«**مخرجًا**»: أي: طريقًا وسببًا يخرج إلى سعة ومنحة، والجارُّ متعلق به وقدم عليه للاهتمام وكذا.

---

(١) سنن الدارمي: (٣٤٤/١).
(٢) تفسير القرطبي: (٣٠١/١٨).
(٣) السلسلة الصحيحة، مختصرة: (٦٠٤/٤).

«**ومن كل هم**»: أي: غم يهمه.

«**فرجًا**»: أي خلاصًا.

«**ورزقه**»: حلالاً طيبًا.

«**من حيث لا يحتسب**»: أي: لا يظن ولا يرجو ولا يخطر بباله.

والحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ **[الطلاق: ٢، ٣]** كذا في المرقاة (١).

* وقال أيضا في شرحه لهذا الحديث: «**وإن العالم ليستغفر له**».

قال الخطابي: إن الله سبحانه قد قيض للحيتان وغيرها من أنواع الحيوان العلم على ألسنة العلماء أنواعًا من المنافع والمصالح والأرزاق؛ فهم الذين بيَّنوا الحكم فيما يحل ويحرم منها وأرشدوا إلى المصلحة في بابها وأوصوا بالإحسان إليها ونفي الضرر عنها فألهمها الله الاستغفار للعلماء مجازاة على حسن صنيعهم بها وشفقتهم عليها(٢).

* عن أبي المنهال قال: «ما جاور عبد في قبره من جار خير من استغفار كثير»(٣).

---

(١) عون المعبود: (٣/٤٤٣).
(٢) عون المعبود: (٨/١٣٧).
(٣) الزهد، لأحمد بن حنبل: (٥/٧).

* قال صاحب التحفة: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «**غفرانك**».

قوله: «إذا خرج من الخلاء قال: «**غفرانك**».

إما مفعول به منصوب بفعل مقدر؛ أي أسألك غفرانك أو أطلب، أو مفعول مطلق أي اغفر غفرانك، وقد ذكر في تعقيبه ﷺ الخروج بهذا الدعاء وجهان:

أحدهما: أنه استغفر من الحالة التي اقتضت هجران ذكر الله تعالى فإنه يذكر الله تعالى في سائر حالاتها إلا عند الحاجة.

وثانيهما: أن القوة البشرية قاصرة عن الوفاء بشكر ما أنعم الله عليه من تسويغ الطعام والشراب وترتيب الغذاء على الوجه المناسب لمصلحة البدن إلى أوان الخروج، فلجأ إلى الاستغفار اعترافًا بالقصور عن بلوغ حق تلك النعم، كذا في المرقاة.

قلت: الوجه الثاني هو المناسب لحديث أنس رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «**الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني**». **[رواه ابن ماجه]**.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: سأل المغفرة من تركه ذكر الله في تلك الحالة، ثم قال: فإن قيل إنما تركه بأمر ربه فكيف يسأل المغفرة عن فعل كان بأمر الله؟

والجواب: أن الترك وإن كان بأمر الله إلا أنه من قبل نفسه وهو الاحتياج إلى الخلاء». انتهى.

فإن قيل: قد غفر له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما معنى سؤاله المغفرة؟ يقال: كان النبي ﷺ يطلب المغفرة من ربه قبل أن يعلمه أنه قد غفر له، وكان يسألها بعد ذلك؛ لأنه غُفِرَ له بشرط استغفاره، ورُفِعَ إلى شرف المنزلة بشرط أن يجتهد في الأعمال الصالحة والكل له حاصل بفضل الله تعالى، قاله ابن العربي [(١)].

* قال الفقيه: حدثنا أبي – رحمه الله تعالى – بإسناده عن أبي هريرة ؓ أنه قال: من رزق ستًا لم يحرم ستًا؛ من رزق الشكر لم يحرم الزيادة؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن رزق الصبر لم يحرم الثواب؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ومن رزق التوبة لم يحرم القبول؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة؛ لقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

ومن رزق الدعاء لم يحرم الإجابة؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) تحفة الأحوذي: (١١/١).

ومن رزق النفقة لم يحرم الخلف؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ **[سبأ: ٣٩]**[١].

* * *

من كلام العلماء

* قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «... فالتقوى فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ **[غافر: ٥٥]**؛ فأمره مع الاستغفار بالصبر؛ فإن العباد لا بد لهم من الاستغفار أولهم وآخرهم؛ قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**يا أيها الناس توبوا إلى ربكم؛ فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**».

وقد ذكر عن آدم أبي البشر عليه السلام أنه استغفر ربه وتاب إليه فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه، وعن إبليس أبي الجن - لعنه الله - أنه أصر متعلقًا بالقدر فلعنه وأقصاه؛ فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه، ومن أشبه أباه فما ظلم.

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي: (٢/٤٢٥).

... ولهذا قرن الله – سبحانه – بين التوحيد والاستغفار في غير آية؛ كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ **[محمد: ١٩]**.

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾. **[فصلت: ٦]**.

وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره يقول الشيطان: «**أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا**».

وقد ذكر سبحانه عن ذي النون أنه: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. **[الأنبياء: ٨٧]**، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ **[الأنبياء: ٨٨]**، قال النبي ﷺ: «**دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه**»[1].

* وقال أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها إذا أصبح موقنًا بها فمات في يومه دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسي موقنًا بها فمات من ليلته؛ دخل الجنة**»؛ فالعبد دائمًا بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر وذنب منه يحتاج فيه إلى

(١) مجموع الفتاوى: (١٢٠/٣).

الاستغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا؛ فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه ولا يزال محتاجا إلى التوبة والاستغفار، ولهذا كان سيد ولد آدم وإمام المتقين محمد يستغفر في جميع الأحوال، وقال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «**أيها الناس توبوا إلى ربكم؛ فإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**».

وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما: «كنا نعد لرسول الله في المجلس الواحد يقول: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور**» مائة مرة.

ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال قال تعالى: ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾. وقال بعضهم: أحيوا الليل بالصلاة. فلما كان وقت السحر أمروا بالاستغفار، وفي الصحيح: «أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**». وقال تعالى: ﴿**فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ **[البقرة: ١٩٨، ١٩٩]**. وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/٨٨).

وقال أيضًا: وخاتمة المجلس: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**». إن كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه، وإن كان مجلس لغو كانت كفارة له. وقد روي أيضًا: أنها تقال في آخر الوضوء بعد أن يقال: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**»، وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار فإن صدره الشهادتان [(١)].

* وقال أيضًا: وأما الاعتراف بالذنب على وجه الخضوع لله من غير إقلاع عنه فهذا في نفس الاستغفار المجرد الذي لا توبة معه، وهو كالذي يسأل الله تعالى أن يغفر له الذنب مع كونه لم يتب منه، وهذا يأس من رحمة الله ولا يقطع بالمغفرة له؛ فإنه داع دعوة مجردة، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من داع يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا كان بين إحدى ثلاث؛ إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له من الجزاء مثلها، وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها**». قالوا: يا رسول الله: إذًا نكثر. قال: «**الله أكثر**».

فمثل هذا الدعاء قد تحصل معه المغفرة، وإذا لم تحصل فلابد أن يحصل معه صرف شر آخر، أو حصول خير آخر فهو نافع كما ينفع كل دعاء.

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/٢٦٢).

وقول من قال من العلماء: الاستغفار مع الإصرار توبة الكذابين. فهذا إذا كان المستغفر يقوله على وجه التوبة، أو يدعي أن استغفاره توبة وأنه تائب بهذا الاستغفار؛ فلا ريب أنه مع الإصرار لا يكون تائبًا؛ فإن التوبة والإصرار ضدان، الإصرار تضاد التوبة لكن لا تضاد الاستغفار بدون التوبة [1].

* وقال رحمه الله تعالى: فليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب؛ بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائمًا قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ **[الأحزاب: ٧٢، ٧٣]**؛ فالإنسان ظالم جاهل، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة، وقد أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يدخل الجنة أحد بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»... ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها فهو ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة؛ بل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ **[الزلزلة: ٧، ٨]**.

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/٣١٨).

وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ **[آل عمران: ١٣٣-١٣٥]**.

* وقال أيضًا: وإذا رأى أنه لا ينشرح صدره ولا يحصل له حلاوة الإيمان ونور الهداية فليكثر التوبة والاستغفار وليلازم الاجتهاد بحسب الإمكان؛ فإن الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ **[العنكبوت: ٦٩]**، وعليه بإقامة الفرائض ظاهرًا وباطنًا ولزوم الصراط المستقيم مستعينًا بالله متبرئًا من الحول والقوة إلا به [(١)].

* وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن قوله: «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم والليلة سبعين مرة»: هل المراد ذكر الاستغفار باللفظ أو أنه إذا استغفروا ينوي بالقلب أن لا يعود إلى الذنب؟

فأجاب: الحمد لله؛ بل المراد الاستغفار بالقلب مع اللسان؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له كما في الحديث الآخر: «**لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار**»؛ فإذا أصر على

---

(١) مجموع الفتاوى: (١١/٣٩٠).

الصغيرة صارت كبيرة وإذا تاب منها غفرت قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية(١).

* وقال أيضًا: فإن الاستغفار هو طلب المغفرة، وهو من جنس الدعاء والسؤال، وهو مقرون بالتوبة في الغالب ومأمور به، لكن قد يتوب الإنسان ولا يدعو، وقد يدعو ولا يتوب، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، قد غفرت لعبدي**» وفي رواية لمسلم: «**فليفعل ما شاء**»، والتوبة تمحو جميع السيئات وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وأما التوبة فإنه قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ **[الزمر: ٥٣]**، وهذه لمن تاب، ولهذا قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: لا تقنطوا من رحمة الله بل توبوا إليه،

---

(١) مجموع الفتاوى: (٦٩٩/١١).

وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، وأما الاستغفار بدون التوبة فهذا لا يستلزم المغفرة؛ ولكن هو سبب من الأسباب [(١)].

* وقال ابن القيم – رحمه الله تعالى: وجماع ذلك أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض؛ فإن تذكر فيها نقصًا تداركه إما بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسبها على المناهي؛ فإن عرف أنه ارتكب منها شيئًا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، ثم يحاسب نفسه على الغفلة؛ فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى ثم يحاسبها بما تكلم به أو مشت إليه رجلاه أو بطشت يداه أو سمعته أذناه: ماذا أرادت بهذا، ولمن فعلته، وعلى أي وجه فعلته؟ ويعلم أنه لا بد أن يُنشر لكل حركة وكلمة منه ديوانان: ديوان لمن فعلته، وكيف فعلته؛ فالأول سؤال عن الإخلاص، والثاني سؤال عن المتابعة، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، وقال تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]؛ فإذا سئل الصادقون وحوسبوا على صدقهم فما الظن بالكاذبين؟![(٢)].

* الإصرار على الصغيرة قد يساوي إثمه إثم الكبيرة أو يربى عليها.. وأيضًا فإنه قد يتخلص من الكبيرة بالتوبة والاستغفار [(٣)].

---

(١) منهاج السنة النبوية: (٦/٢١٠).
(٢) إغاثة اللهفان: (١/٨٣).
(٣) إغاثة اللهفان: (٢/١٥١).

* يذكر عن النبي ﷺ: أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته: تقول: «**اللهم اغفر لنا وله**». ذكره البيهقي في الدعوات الكبير وقال: في إسناده ضعف، وهذه المسألة فيها قولان للعلماء – هما روايتان عن الإمام أحمد – وهما: هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لا بد من إعلامه وتحليله؟ والصحيح: أنه لا يحتاج إلى إعلامه بل يكفيه الاستغفار وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، والذين قالوا: لابد من إعلامه، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية، والفرق بينهما ظاهر؛ فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه فإن شاء أخذها وإن شاء تصدق بها، وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع ﷺ؛ فإنه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمى به ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبدًا، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يبيحه ولا يجوزه فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به، ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها لا على تحصيلها وتكميلها والله تعالى أعلم[1].

* قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الفائدة العاشرة ينبغي للمفتي الموفق إذا نزلت به المسألة أن ينبعث من قلبه الافتقار الحقيقي الحالي لا العلمي المجرد إلى ملهم الصواب ومعلم الخير وهادي القلوب أن يلهمه الصواب ويفتح له طريق السداد ويدله على حكمه الذي شرعه لعباده في هذه المسألة؛ فمتى قرع هذا الباب فقد قرع باب التوفيق.

(١) الوابل الصيب: (١/٢١٩).

وما أجدر من أمل فضل ربه أن لا يحرمه إياه! فإذا وجد من قلبه هذه الهمة؛ فهي طلائع بشرى التوفيق؛ فعليه أن يوجه وجهه ويحدق نظره إلى منبع الهدى ومعدن الصواب ومطلع الرشد؛ وهو النصوص من القرآن والسنة وآثار الصحابة؛ فيستغفره وسعه في تعرف حكم تلك النازلة منها؛ فإن ظفر بذلك أخبر به وإن اشتبه عليه بادر إلى التوبة والاستغفار والإكثار من ذكر الله؛ فإن العلم نور الله يقذفه في قلب عبده، والهوى والمعصية رياح عاصفة تطفئ ذلك النور أو تكاد ولابد أن تضعفه.

وشهدت شيخ الإسلام قدس الله روحه إذا أعيته المسائل واستصعبت عليه فر منها إلى التوبة والاستغفار والاستغاثة بالله واللجوء إليه واستنزال الصواب من عنده، والاستفتاح من خزائن رحمته؛ فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدًا وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه بأيتهن يبدأ، ولا ريب أن من وفق هذا الافتقار علمًا وحالاً وسار قلبه في ميادينه بحقيقة وقصد فقد أعطي حظه من التوفيق ومن حرمه فقد منع الطريق[1].

* وأما من أصر على الذنب وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار مطلق؛ ولهذا لا يمنع العذاب؛ فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى. والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما

---

(١) إعلام الموقعين: (١٧٢/٤).

يخافه في المستقبل من سيئات أعماله؛ فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى؛ فالاستغفار منه: طلب وقاية شره، وذنب يخاف وقوعه؛ فالتوبة: العزم على أن لا يفعله.

والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله، وأيضًا فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقًا تؤديه إلى هلاكه ولا توصله إلى المقصود فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته والتي توصله إلى مقصوده وفيها فلاحه فها هنا أمران لابد منهما: مفارقة شيء والرجوع إلى غيره؛ فخصت التوبة بالرجوع والاستغفار بالمفارقة وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين[1].

* عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال – لما قال له سفيان: لا أقوم حتى تحدثني – قال جعفر: أما إني أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان، إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثر من الحمد والشكر عليها؛ فإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار؛ فإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، في الآخرة يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها مفتاح الفرج وكنز

---

(١) مدارج السالكين: (٣٠٨/١).

من كنوز الجنة، فعقد سفيان بيده وقال: ثلاث، وأي ثلاث؟! قال جعفر: عقلها والله أبو عبد الله ولينفعه الله بها وبه [(١)].

* قال ابن رجب - رحمه الله تعالى: السبب الثاني للمغفرة: الاستغفار، ولو عظمت الذنوب، وبلغت الكثرة عنان السماء، وهو السحاب. وقيل: ما انتهى إليه البصر منها. وفي الرواية الأخرى: «**لو أخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله لغفر لكم**»، والاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة: هي وقاية شر الذنوب مع سترها. وقد كثر في القرآن ذكر الاستغفار، فتارةً يؤمر به، كقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، وقوله: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾.

وتارة يمدح أهله، كقوله: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾، وقوله: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ **[النساء: ١١٠]**. وكثيرًا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارةً عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح.

(١) تهذيب الكمال: (٥/٨٥).

وتارة يفرد الاستغفار، ويرتب عليه المغفرة، كما ذكر في هذا الحديث وما أشبهه، فقد قيل: إنه أريد به الاستغفار المقترن بالتوبة، وقيل: إن نصوص الاستغفار المفردة كلها مطلقة تقيَّد بما ذكر في آية (آل عمران) من عدم الإصرار؛ فإن الله وعد فيها المغفرة لمن استغفره من ذنوبه و لم يصر على فعله، فتحمل النصوص المطلقة في الاستغفار كلها على هذا المقيد، ومجرد قول القائل: اللهم اغفر لي، طلب منه للمغفرة ودعاء بها، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء، فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، لاسيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنب أو صادف ساعةً من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصلوات.

ويروى عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: يا بني عود لسانك: اللهم اغفر لي؛ فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً، وقال الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم أينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة [(١)].

* وقال أيضًا: وأفضل أنواع الاستغفار: أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة كما في حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ، قال: سيد الاستغفار أن يقول العبد: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت،**

---

(١) جامع العلوم والحكم: (٤٢/٨).

أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». **[خرجه البخاري]**، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر الصديق ﷺ قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[1].

... ومن زاد اهتمامه بذنوبه، فربما تعلق بأذيال من قلت ذنوبه، فالتمس منه الاستغفار.

وكان عمر يطلب من الصبيان الاستغفار، ويقول: إنكم لم تذنبوا.

وكان أبو هريرة يقول لغلمان الكُتَّاب: قولوا: اللهم اغفر لأبي هريرة، فيؤمن على دعائهم.

قال بكر المزني: لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين يقول: استغفروا لي، لكان قبوله أن يفعل.

ومن كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاقت العَدَّ والإحصاء، فليستغفر الله مما علم الله، فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ **[المجادلة: ٦]**.

---

(١) جامع العلوم والحكم: (١٤/٤٢).

وفي حديث شداد بن أوس، عن النبي ﷺ: «**أسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب**». وفي هذا يقول بعضهم:

استغفر الله مما يعلم الله
إن الشقي لمن لا يرحم الله

ما أحلم الله عمن لا يراقبه
كلٌّ مسيءٌ ولكن يحلم الله

فاستغفرِ الله مما كان من زلل
طوبى لمن كف عما يكره الله

طوبى لمن حسنت فيه سريرته
طوبى لمن ينتهي عما نهى الله [(١)]

* عن عبد الوهاب بن المنذر الصبي أنه قال: لكل شيء أول، وأول الخير الاستغفار، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]. يعني لا يزال يغفر للمستغفرين[(٢)].

* يحيى بن أيوب قال: حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه قالوا: كان وكيع لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر فيصلي ركعتين[(٣)].

---

(١) جامع العلوم والحكم: (١٧/٤٢).
(٢) حلية الأولياء: (٤٤٣/٤).
(٣) صفة الصفوة: (٣٤٢/١).

*... أربعة تجلب الرزق؛ قيام الليل وكثرة الاستغفار بالأسحار وتعاهد الصدقة والذكر أول النهار وآخره[١].

* وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: الاستغفار جامع لمعان: أولها: الندم على ما مضى، الثاني: العزم على الترك، الثالث: أداء ما ضيعت من فرض الله، الرابع: رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها، الخامس: إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام، السادس: إذاقة ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية [٢].

* قال محمود بن والان: سمعت عبد الرحمن بن بشر، سمعت ابن عيينة يقول: «غضب الله داء ولا دواء له». قلت: والكلام للذهبي – دواؤه كثرة الاستغفار بالأسحار والتوبة النصوح [٣].

* قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يومًا: سئل بعض أهل العلم أيما أنفع للعبد: التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنسًا فالصابون والماء الحار أنفع له. فقال لي رحمه الله تعالى: فكيف والثياب لا تزال دنسه؟ ومن هذا الباب أن سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص، ولما

---

(١) زاد المعاد: (٤/٣٧٢).
(٢) سير أعلام النبلاء: (١١/٥٣٥).
(٣) المرجع السابق: (١٢/٣٤٤).

كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده؛ لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء، فهذا أصل نافع جدا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها؛ لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها؛ فيربح إبليس الفضل الذي بينهما، وينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها إن كان ذلك وقته؛ فتفوته مصلحته بالكلية لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابا وأعظم أجرا، وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال، وتفاوتها، ومقاصدها، وفقه في إعطاء كل عمل منها حقه وتنزله في مرتبته وتفويته لما هو أهم منه أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل لإمكان تداركه والعود إليه وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به أولى، وهذا كترك القراءة لرد السلام وتشميت العاطس وإن كان القرآن أفضل؛ لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل؛ بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة؛ فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس، وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت والله تعالى الموفق[١].

* وقال رحمه الله تعالى: إن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق أن لا يكلك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان أن يكلك الله تعالى إلى نفسك؛ فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه، ورؤية عيوب

---

(١) الوابل الصيب: (١/١٢٤).

نفسه وجهلها وعدواها، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده؛ فالعارف سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين لا يمكنه أن يسير إلا بهما؛ فمتى فاته واحد منهما؛ فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه.

قال شيخ الإسلام: العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل، وهذا معنى قوله في الحديث الصحيح من حديث بريدة ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»؛ فجمع في قوله: «**أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي**» مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل؛ فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مفلسًا، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو: الإفلاس؛ فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقامًا ولا سببًا يتعلق به ولا وسيلة مِنْهُ يَمُنُّ بها؛ بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل وكمال فاقته وفقره إليه وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى، وأنه إن تخلى عنه

طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يعود إلى الله تعالى عليه ويتداركه برحمته.

ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى، والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها؛ حب كامل، وذل تام، ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين؛ وهما مشاهدة المنة التي تورث الذل التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلة، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته[1].

* وقال أيضًا: ولهذا أمر الله سبحانه رسوله والمؤمنين باتباع ما أنزل إليهم وهو طاعته، وهو المقدمة الأولى، وأمر بانتظار وعده وهو المقدمة الثانية، وأمر بالاستغفار والصبر؛ لأن العبد لابد أن يحصل له نوع تقصير وسرف يزيله الاستغفار ولابد في انتظار الوعد من الصبر؛ فبالاستغفار تتم الطاعة، وبالصبر يتم اليقين بالوعد؛ وقد جمع الله سبحانه بينهما في قوله: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** ﴾ **[غافر: ٥٥]**[2].

* وقال أيضًا: وأما تأثير الاستغفار في دفع الهم والغم والضيق فلما اشترك في العلم به أهل الملل وعقلاء كل أمة: أن المعاصي والفساد توجب الهم والغم والخوف والحزن وضيق الصدر وأمراض القلب؛ حتى إن أهلها إذا قضوا منها أوطارهم وسئمتها نفوسهم

---

(١) المرجع السابق: (ص١٤).
(٢) إغاثة اللهفان: (١٨٧/٢).

ارتكبوها دفعًا لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهم والغم؛ كما قال شيخ الفسوق:

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب فلا دواء لها إلا التوبة والاستغفار[1].

* وسأل رجل ابن الجوزي رحمه الله تعالى: أيما أفضل: أسبح أو أستغفر؟ قال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور [2].

* واستطال رجل على أبي معاوية الأسود رحمه الله تعالى فقال: أستغفر الله من الذنب الذي سلطت به علي [3].

* قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ويأس الإنسان أن يصل إلى ما يحبه الله ويرضاه من معرفته وتوحيده كبيرة من الكبائر؛ بل عليه أن يرجو ذلك ويطمع فيه؛ لكن من رجا شيئًا طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه، وإذا اجتهد واستعان بالله تعالى ولازم الاستغفار والاجتهاد فلابد أن يؤتيه الله من فضله ما لم يخطر ببال، وإذا رأى أنه لا ينشرح صدره ولا يحصل له حلاوة الإيمان ونور الهداية فليكثر التوبة والاستغفار وليلازم الاجتهاد بحسب الإمكان؛ فإن الله يقول: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وعليه

(١) الطب النبوي: (١/١٦٢).
(٢) سير أعلام النبلاء: (٢١/٣٧١).
(٣) عيون الأخيار: (١/١٢٠).

بإقامة الفرائض ظاهرًا وباطنًا ولزوم الصراط المستقيم مستعينًا بالله متبرئًا من الحول والقوة إلا به؛ ففي الجملة ليس لأحد أن ييأس بل عليه أن يرجو رحمة الله، كما أنه ليس له أن لا ييأس؛ بل عليه أن يخاف عذابه؛ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ **[الإسراء: ٥٧]**(١).

* قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الباب الرابع عشر في مفتاح الجنة... وفي المسند من حديث معاذ ابن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على باب من أبواب الجنة**»، قلت: بلى. قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**». وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به؛ فجعل مفتاح الصلاة الطهور؛ كما قال: مفتاح الصلاة الطهارة، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغار، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح

---

(١) الفتاوى: (١٠/٢٦٢).

حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل، وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو: معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحًا وبابًا يدخل منه إليه [(١)].

* وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالى: الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل؛ فإن العابد لله والعارف بالله في كل يوم بل في كل ساعة بل في كل لحظة يزداد عملًا بالله وبصيرة في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها؛ فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائمًا في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد؛ لما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرات وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية، وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد واقترانها بشهادة أن لا إله إلا الله من

(١) حادي الأرواح: (١/٤٨).

أولهم إلى آخرهم ومن آخرهم إلى أولهم ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم وهم فيها درجات عند الله ولكل عامل مقام معلوم؛ فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله دقه وجله خطأه وعمده أوله وآخره وسره وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه، والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك؛ فإن الذنوب كلها من شعب الشرك فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه فأبلغ الثناء قول: لا إله إلا الله، وأبلغ الدعاء قول: أستغفر الله.

وقال: التوبة من أعظم الحسنات والحسنات كلها مشروط فيها الإخلاص لله وموافقة أمره باتباع رسوله والاستغفار من أكبر الحسنات، وبابه واسع فمن أحس بتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلبٍ فعليه بالتوحيد والاستغفار؛ ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص، وكذلك إذا وجد العبد تقصيرًا في حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والإخوان فعليه بالدعاء لهم.

وسئل رحمه الله عن قوله ﷺ: «**ما أصرَّ من استغفر وإن عاد في اليوم والليلة سبعين مرة**». هل المراد ذكر الاستغفار باللفظ، أو أنه إذا استغفر ينوى بالقلب أن لا يعود إلى الذنب، وهل إذا تاب من الذنب وعزم بالقلب أن لا يعود إليه وأقام مدة ثم وقع فيه أفيكون ذلك الذنب القديم يضاف إلى الثاني أو يكون مغفورًا بالتوبة المتقدمة...؟

فأجاب: الحمد لله؛ بل المراد الاستغفار بالقلب مع اللسان فإن «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» كما في الحديث الآخر «**لا كبيرة في الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار**»؛ فإذا أصر على الصغيرة صارت كبيرة، وإذا تاب منها غفرت؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية، وإذا تاب توبة صحيحة غفرت ذنوبه؛ فإن عاد إلى الذنب فعليه أن يتوب أيضًا وإذا تاب قبل الله توبته أيضًا [(١)].

* قال ابن القيم - رحمه الله تعالى: فصل- وأما الاستغفار فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة؛ فالمفرد كقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ **[نوح: ١٠، ١١]**، وكقول صالح لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ **[النمل: ٤٦]**، وكقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **[البقرة: ١٩٩]**، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ **[الأنفال: ٣٣]**.

والمقرون كقوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ **[هود: ٣]**، وقول هود لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ **[هود: ٥٢]**، وقول صالح لقومه: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي

---

(١) الفتاوى: (١١/٣٩١).

﴿قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وقول شعيب: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]؛ فالاستغفار المفرد كالتوبة بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس أنها الستر؛ فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له؛ ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه؛ فدلالتها عليها إما بالتضمن وإما باللزوم، وحقيقتها وقاية شر الذنب، ومنه "المغْفر" لما يقي الرأس من لأذى والستر لازم لهذا المعنى وإلا فالعمامة لا تسمى "مغْفرًا" ولا القبع ونحوه مع ستره فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية.

وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]؛ فإن الله لا يعذب مستغفرًا[(١)].

* قال الإمام الذهبي – رحمه الله تعالى – قلت: الطريقة المثلى هي المحمدية، وهو الأخذ من الطيبات، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقد قال النبي ﷺ: «**لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآتي النساء، وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني**»؛ فلم يشعر لنا الرهبانية، ولا التمزق ولا الوصال بل ولا صوم الدهر، ودين الإسلام يسر وحنيقية سمحة، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]،

(١) مدارج السالكين: (٣٠٨/١).

وقد كان النساء أحب شـــيء إلى نبينـــا ﷺ، وكـــذلك اللحـــم، والحلوى، والعسل، والشراب الحلو البارد، والمسك، وهو أفضـــل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى، ثم العابد العري من العلم، متى زهـــد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصـــر علـــى الدقة والكسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطابًا يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لـــذلك الخطـــاب والله في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنـــه قـــد وصل، وخوطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان، ويوســـوس لـــه، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنـــه ولي، صـــاحب كرامات وتمكن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانـــه؛ فـــالخلوة والجوع أبوجاد الترهب، وليس ذلك من شريعتنا في شـــيء؛ بلـــى السلوك الكامل هو الورع في القوت، والورع في المنطق، وحفـــظ اللسان، وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة، والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل والتدبر، ومقـــت الـــنفس وذمهـــا في ذات الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم، والسماحة وكثرة البشر، والإنفاق مـــع الخصاصـــة، وقول الحق المر برفق وتؤدة، والأمر بـــالعرف، والأخـــذ بـــالعفو، والإعراض عن الجاهلين، والرباط بالثغر، وجهاد العـــدو، وحـــج البيت، وتناول الطيبات في الأحايين، وكثرة الاستغفار في السحر. فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحمديين، أماتنا الله على محبتهم (١).

---

(١) سير أعلام النبلاء: (١٢/٨٩).

* عن محمد بن المنكدر، عن أنس مرفوعًا: «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار»(١).

* ذكر محمد بن مسرور عن أبيه قال: سمعت سليمان بن أسود القاضي يقول: قد برز الناس للاستسقاء في بعض أيام سعيد بن سليمان، فلما ابتدأ خنقته العبرة، وأشكلت عليه الخطبة، فاختصرها، وكثر من الاستغفار، والضراعة، ثم صلى، وانصرف، فسقى الناس ليومهم (٢).

* قال أعرابي: من أقام بأرضنا فليكثر من الاستغفار، فإن مع الاستغفار القطار (٣).

* قال علي بن أبي طالب ﷺ: عجبت لمن يهلك والنجاة معه. قيل: وما هي: قال الاستغفار (٤).

* حدث يزيد بن أبي عطاء أنه سمع عمر بن عبد العزيز وهو يخطب الناس على المنبر في خلافته يقول: يا أيها الناس، من ألم بذنب فليستغفر الله وليتب إليه؛ فإنما الهلاك في الإضراب عن الاستغفار؛ فإني قد علمت أن الله قد وصف في رقاب أقوام خطايا قبل أن يخلقهم، لابد لهم أن يعملوا بها، فمن ألم بذنب فليستغفر الله، وليتب إليه (٥).

---

(١) ميزان الاعتدال: (٢٦٣/٤).
(٢) المقتبس من أنباء الأندلس: (١٥/١).
(٣) عيون الأخبار: (٢٤٣/١).
(٤) عيون الأخبار: (٨٧٢/١).
(٥) مختصر تاريخ دمشق: (٥٤٢/٨).

* عن سفيان الثوري قال: قال الربيع بن خيثم: داء البدن الذنوب ودواؤها الاستغفار وشفاؤها ألا تذنب في الدنيا [١].

* وقال أبو عبد الله جعفر الصادق ﷺ: «من استبطأ رزقه فليكثر من الاستغفار»[٢].

* وقال وكيع بن الجراح رحمه الله تعالى: طريق الله بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق، وكان إذا آذاه شخص يرفع التراب على رأس نفسه، ويقول: لولا ذنبي ما سلطت هذا علي، ثم يكثر من الاستغفار حتى يسكن ذلك المؤذي عنه [٣].

* عن علي بن ربيعة قال: جعلني علي خلفه ثم سار بي في جبانة ثم رفع رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب أحد غيرك، ثم التفت إلي فضحك؛ قال: جعلني رسول الله ﷺ خلفه ثم سار بي في جانب الحرة ثم رفع رأسه إلى السماء ثم قال: «**اللهم اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب أحد غيرك**». ثم التفت إليَّ فضحك فقلت: يا رسول الله، استغفارك ربك والتفاتك إليَّ تضحك؟ قال: «**ضحكت لضحك ربك لعجبه لعبده أنه يعلم أنه لا يغفر الذنوب أحد غيره**»[٤].

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب: (٤٦٩/٣).

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني: (٢٩/١).

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني: (٦٠/١).

(٤) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني: (٣١٢/٩).

* قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «... بل ها هنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول الأطباء و لم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه والانطراح والانكسار بين يديه والتذلل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والإحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب؛ فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه، وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أمورًا كثيرة ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية...»[١].



(١) زاد المعاد: (٤/١٠-١١).

القصص

القصة الأولى:

(اللهم اسقنا)

قال الأوزاعي: خرج الناس يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **[التوبة: ٩١]**، وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟! اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا! فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا [(١)].

القصة الثانية

(استغفِر الله، استغفر الله)

قال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله.

وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله.

وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدًا، فقال له: استغفر الله.

وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: استغفر الله.

(١) سير أعلام النبلاء: (٥/٩٢).

فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئا، إن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢][1].

القصة الثالثة

(تكدر بالها، فرجعت لأحسن حالها)

لم يهدأ لها بال، ولم يقر لها قرار، تشتتت أفكارها، وكثرت همومها، بعد أن انقلبت حال زوجها بشكل مفاجئ، فأصبح يضربها، ويهددها، ويسيء معاملتها، - بعد أن قضت معه عدة سنوات، لم يتكدر عيشهم إلا أيامًا قليلة — فأرجعت تفكيرها لماضي أيامه، وسالف أزمانه، فتذكرت طيب كلامه، وحسن فعاله، وكريم خصاله، حينها طال عجبها، وكثر استغرابها فما الذي غيره يا ترى؟! هل نمي إليه كلام لم أقله؟ هل أخطأت من حيث أشعر أم لا أشعر؟ هل وهل... الخ.

أسئلة تدور في خلدها كل يوم ولم تجد لها جوابًا شافيًا، والزوج تزداد أفعاله، حتى كرهت الجلوس معه، والمكوث عنده، فأخبرت أهلها بحالها، فنصحوها بالصبر، وذكروها بأبنائها، فعلمت أن الملجأ الوحيد هو الله تعالى، وأنه علام الغيوب، وكاشف

---

(١) تفسير القرطبي: (٣٠٢/١٨).

الكروب، فلزمت الدعاء والاستغفار، والمحافظة على الأذكـــار، في العشي والإبكار، وصيام النهار، وقيام الليل في الأسحار.

وأتبعت ذلك تعليم أبنائها القرآن الكريم، وسيرة الرسول ﷺ، راجية من الله تعالى تفريج كربها، وكشف ما بها.

وفي ذلك اليوم العصيب دخل زوجها وبالغ في ضربها أكثر من العادة، ثم خرج غير آبه بما فعل، ولا آسف لما حصل، فلـــم يعـــد للصبر مجال، ولا لحياتها معه جمال، فقامت مـــن مكانهـــا باكيـــة، واتصلت بأهلها شاكية، وأمـــرتهم بـــالمجيء لأخـــذها، فجـــاؤوا ليصبروها، وبالفرج يذكروها، لكن لما رأو ما بها أشفقوا لحالهـــا، وفكروا بمآلها، فبينا هم في تلك الحال، وبعد هدوء البـــال، سمعـــوا صوتًا أفزعهم، فقاموا إلى المطبخ مسرعين، فلم يجدوا أثرًا لما سمعوه، فخرجوا إلى موزع الكهرباء فزعين، فلم يرو شيئًا لما ظنوه، فجالوا في ساحة البيت، باحثين عن مصدر الصوت، وفجـــأة! توقفـــت الأنظار، وشخصت الأبصار، وجدوا (بلاطة) خارجة عن مكانها، فرفعوها حذرين، ووقفوا متأملين، فشاهدوا تحتها شيئًا من عمـــل السحر، فانتابهم خوف شديد، ثم اهتدوا لأمر سديد؛ فاتصلوا بمـــن له خبرة، وأعلموه بالأمر وخبره، فأعطاهم طريقة للـــتخلص مـــن السحر وأثره، متوكلين على الله، فلا ملجأ منه إلا إليه.

أما الزوج فكان خارج البيت ولم يعلم الخبر، فجاء مسرعًا بعد إزالة الأثر، وخافت الزوجة أن يسيء إليها أمام أهلها، لكن الأمـــر اختلف، والأمر بينهما ائتلف، فقد جاء ليضحكها بعد ما أبكاها،

وليبرئ جرحها بعد ما أنكاها، لقد دخل بثغر باسم، ولنفسه لائم، ولحسن الفعال ملازم، فرجعت حالهم أحسن من ماضيها، وسابقها لا يفوق تاليها.

فهذه عاقبة الاستغفار والـدعاء، والالتجـاء لـرب الأرض والسماء، فعطاؤه ليس له حدود، وهو ذو الكرم والجود.

القصة الرابعة

(أثر الاستغفار)

كانت تلك العائلة تحلم ببيت مناسب لسكنهم، حيث تقيم في منزل متهالك، مضى عليه عشرات السنوات، لا يقي من البرد، ولا المطر، ففكرت ربة البيت في حالهم، ونظرت بعطـف لصـغارها ومآلهم، فليس عندهم مال يكفيهم، ولا بيت يؤويهم، فهـداها الله تعالى إلى الاستغفار فأكثرت منه، وأصبحت في أغلب أحوالهـا لا تفتر، وأتبعت ذلك دعاء في قيام الليل وحثت زوجهـا لمثلـه، ولم يمض وقت طويل حتى جاء يوم رأت فيه أثر استغفارها، ودعائها، فاستجاب الله تعالى لها بأن يسر لهم بيتًا جديدًا بأقسـاط ميسـرة وكانت تقول بعد ذلك: لم أحلم يومًا بمثلـه، فللـه الحمـد رب العالمين.

القصة الخامسة

(من حال إلى حال)

لأنها موظفة على البند جاءها قرار الاستغناء عنها إلا إن جاءت بواسطة فتألمت وتأملت وعلى الله تعالى توكلت، ومن حينها بدأت بالدعاء والاستغفار ومن حسن ظنها بربها تفاءلت بأنها ستكون موظفة رسمية.

وفي أحد الأيام ذهبت لتستطلع الخبر، فأعادوا عليها قولهم السابق؛ وهل جاءت بواسطة أم لا؟ - وكانت الغرفة مليئة بالعاملات — فقالت واثقة بالله تعالى: إن الله تعالى هو من سييسر لي طلبي.

وخرجت من المكتب، وبعد مدة اتصلت على تلك الموظفة لتسأل عن الجديد في أمرها فقالت لها: لقد وثقت بالله تعالى فأعطاك ما تمنيت فقد وصلنا الآن تعيينك رسميًا. فشكرت الله تعالى على تيسيره وحيَّت المسؤولة منهية للاتصال.

القصة السادسة

(لزوم الاستغفار)

بعد أربعة أبناء لم تحمل تلك المرأة فذهبت للأطباء فأبعدوا الأمل في رجوع الحمل لها وأخبروها أن فحوصاتها أثبتت ذلك، وطالت المدة وبدأ الزوج بالاستغفار قائمًا وقاعدًا، وفي يوم أسعد

تلك المرأة بعد أحد عشر عامًا عندما أحست بألم في بطنها فذهبت للطبيبة فأمرتها بالكشف للتأكد من الحمل أو عدمه وحينها جاءتها البشرى بأنها حامل فحمدت الله تعالى على فضله.

القصة السابعة

(داعية ترشد زوجة المدمن)

روت إحدى الداعيات أنها لما انتهت يومًا من إلقاء محاضرتها جاءت إليها امرأة تشكو حال زوجها المدمن وأنه يضربها ويبالغ في إهانتها ولا ينفق عليها فأوصتها بكثرة الاستغفار واللجوء إلى الله تبارك وتعالى وخاصة في السجود وفي آخر الليل ثم ذهبت، وبعد عدة أشهر كانت الداعية تلقي محاضرة ولما انتهت أتت إليها امرأة وشكرتها ودعت لها ثم قالت: ألم تعرفيني؟ أنا الذي جئتك قبل عدة أشهر فأخبرتك بحالي فأوصيتيني بكذا وكذا، وقد عملت بما قلت، ووالله إنه لم يمض على ذلك ستة أشهر إلا ويتوب زوجي ويترك المخدرات وأصبحت أنا وأبنائي كل همه وشغله الشاغل حتى إني أتمنى أن يخرج لأنظف البيت؛ فالحمد لله على نعمه التي تترا.

القصة الثامنة

(جاءها ما تمنت)

تقول المرأة: كلما رأيت بيت الله الحرام في الصور طار قلبي محبة وشوقًا؛ فأنا منذ أن كنت حاملاً بابني الأول قبل تسعة عشر عامًا لم أذهب إليه، وكلما طلبت زوجي رفض ذلك، فأصبحت أمنيتي الوحيدة أداء العمرة، وفي تلك السنة بدأت بجمع المال؛ أملاً في الذهاب للعمرة؛ ولكن زوجي رفض، وابني لا يستطيع الذهاب بمفرده؛ لبعد المسافة وعدم معرفته الطريق، وكانت أختي ستذهب مع زوجها للعمرة فطلبت منهم مرافقتهم في الطريق فوافقوا، وبدأت أجهز أغراض السفر والفرحة تغمرني والأنس يملأ قلبي، حتى غير ذلك اتصال أختي قائلة: سنذهب غدًا بعد صلاة الفجر لكن للسياحة ثم نذهب بعدها إلى مكة؛ فأحسست بحزن شديد، لكني لم أيأس من رحمة الله تعالى؛ فقمت تلك الليلة وصليت ودعوت ربي وألححت بالدعاء، ثم صليت الفجر وأكثرت الاستغفار والدعاء، وفي الظهر اتصلت أختي فظننت أنها اتصلت لتخبرني بوصولهم سالمين لكنها قالت لي: إن أخا زوجي سيرافقنا. ونظرًا لحالة زوجته الصحية التي لا تسمح له بالتنقل سنذهب إلى مكة مباشرة، ففرحت فرحًا شديدًا، وأديت العمرة وجلست خمسة عشر يومًا، وكانت من أسعد أيام حياتي، فلله الحمد والشكر أن يسر لي ذلك وأسأله القبول.

القصة التاسعة

(يسر الله تعالى أمرها)

كثرت مشاكل تلك الزوجة مع أهل زوجها والجميع مخطئ ولما حملت المرأة وجاءت بولد زادت المشاكل فذهب الزوج بها إلى أهلها ومكثت عندهم سنتين أو ثلاثًا دون أن يطلقها، ثم ردها إليه في بيت بمفردها فصارت تحرص على كسب رضا زوجها وأهله؛ لكنهم غير راضين عنها، ثم تزوج بامرأة أخرى فأحسن أهل الزوج العلاقة معها لإغاظة للأولى، وأصبح الزوج يمنعها من الذهاب لأهلها ويقدم زوجته الأخرى عليها، ومضت السنون وأنجبت عددًا من الأولاد فلما رأت تفاقم المشاكل واستمرارها لجأت إلى الله تعالى بالدعاء والاستغفار، وفي يوم رأت رؤيا في منامها فقصتها على معبر فقال: هذا فرج لك. وما لبثت المرأة سوى أسابيع إلا ويحسن زوجها معاملتها، وكان يقول من شدة محبته لها: أتمنى أن أموت قبلك.

أما أهله فأحسنوا معاملتها وكفوا عن أذاها.

القصة العاشرة

(الوظيفة)

بعد تخرُّجه من إحدى القطاعات لبث بضع سنوات يذهب هنا وهناك عله يجد وظيفة تسد حاجته، ينفق على نفسه وأهله، ولكن

الأبواب دونه تغلق، والإدارات لا تقبل تخصصه، فتأمل في حالــه، وخاف أن يكون عالة على غيره، وسرعان ما تذكر ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ولم يغب عنــه قولــه تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وأنه يجب عليه أن يبحث عن رزقه، ويسعى في طلبه؛ فالسماء لا تمطــر ذهبًا ولا فضة!! ومع السعي بدأ بالاستغفار، وأكثر منه في العشــي والإبكار، واستمر على ذلك عدة أيام فحصل على مراده، وجــاءه ما تمنى وزيادة، فالحمد لله على فضله وإنعامه.

القصة الحادية عشرة

(بعد الثلاثين)

مضى على زواجهما بضع سنوات، ولم تحمل المرأة، فبحثا عن علاج وأسباب، لكنها لم تداو جرحًا، ولم تذهب ألمًا، ومع كل يوم تشتاق أنفسهما للولد، يحمل اسمهما، ويبرهما، ويكون عونًا لهمــا، والأيام تمضي، والسنون تتعاقب، والشوق يــزداد، لكــن الــذي يتذاكرانه في تلك الأيام هو قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَــاءُ إِنَاثًــا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَــلُ مَــنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

ولكنهما لم ييأسا من روح الله تعالى، وسلكا الطريق المشروعة للعلاج، وبعد ثلاثين سنة تذكر الزوجان علاجًا لم يعملانــه، ولم يداوما عليه (وهو الاستغفار)؛ فيخبر الزوج أنه بعــد اســتمراره

بالاستغفار مدة يسيرة حملت امرأته، وأنجبت بعد ثلاثين سنة من زواجهما، ولا تسأل عن فرح بما طال انتظاره، وظنًا أن لن يكون، ولكن الله إذا قضى أمرًا فإنما يقول له: كن؛ فيكون، فله الحمد على ما أعطى.



المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- تفسير الطبري.

٣- تفسير ابن كثير.

٤- تفسير القرطبي.

٥- تفسير السعدي.

٦- تفسير ابن أبي حاتم.

٧- صحيح البخاري.

٨- صحيح مسلم.

٩- سنن أبي داود.

١٠- سنن ابن ماجه.

١١- سنن الدارمي.

١٢- مسند الإمام أحمد.

١٣- مصنف عبد الرزاق.

١٤- المستدرك على الصحيحين للحاكم.

١٥- شعب الإيمان للبيهقي.

١٦- معجم الطبراني.

١٧- صحيح وضعيف الترمذي للألباني.

١٨- صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني.

١٩- صحيح الترغيب والترهيب للألباني.

٢٠- السلسلة الصحيحة للألباني.

٢١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

٢٢- المطالب العالية للحافظ ابن حجر.

٢٣- عون المعبود.

٢٤- تحفة الأحوذي.

٢٥- زاد المعاد.

٢٦- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام.

٢٧- منهاج السنة النبوية.

٢٨- إغاثة اللهفان.

٢٩- الوابل الصيب.

٣٠- إعلام الموقعين.

٣١٠ مدارج السالكين.

٣٢- حادي الأرواح.

٣٣- الطب النبوي لابن القيم.

٣٤- شرح العمدة.

٣٥- جامع العلوم والحكم.

٣٦- الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين.

٣٧- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن هشام.

٣٨- الشكر لابن أبي الدنيا.

٣٩- المنامات لابن أبي الدنيا.

٤٠- الصمت لابن أبي الدنيا.

٤١- التوبة لابن أبي الدنيا.

٤٢- التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا.

٤٣- الزهد للإمام أحمد.

٤٤- تهذيب الكمال.

٤٥- حلية الأولياء.

٤٦- صفة الصفوة.

٤٧- سير أعلام النبلاء.

٤٨- عيون الأخبار.

٤٩- ميزان الاعتدال.

٥٠- بحر العلوم للسمرقندي.

٥١- المقتبس من أنباء الأندلس.

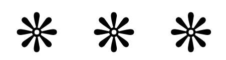
٥٢- مختصر تاريخ دمشق.

٥٣- بغية الطلب في تاريخ حلب.

٥٤- الطبقات الكبرى للشعراني.

٥٥- من عجائب الدعاء للمؤلف.

٥٦- من عجائب الصدقة للمؤلف.



الفهـــرس